### باولو كويلهو في تونس بمناسبة المعرض الدولي للكتاب:

# أملنا كبير في قدرتنا ككتّاب على إيجاد حوار فقده السّاسة وعجزوا عنه من زمان!

حوار: شمس الدين العوني

■ ببشاشة الأطفال المعهودة لديهم وبلكنة خاصة في نطق الفرنسية، وقف السيد باولو كويلهو يحضنني قائلا «مرحبا... صديقي الشاعر».. كنا على موعد في هذا الربيع التونسي وبعيدا عن الصخب الجميل لمعرض تونس الدولي للكتاب.. بعد حصة الصور والكتب أخذ أنفاسا من سيجارة برازيلية لينطلق في حديثه...

استذكر لقاءه بالمعرض حيث قدّمه الدكتور بوبكر بن فرج مديرالمعرض قائلا:

«إنه قريب منا ومن أجوائنا في الحياة وفي الكتابة».

الخيميائي، احدى عشرة دقيقة، فيرونيكا تقرر أن تموت، الشيطان والآنسة بريم، على نهر بييدرا هناك جلست فبكيت، الجبل الخامس، حاج كومبوستلا والزهير..... مؤلفات صنعت مجد هذا الكاتب ولمستها في هيئة جلوسه وحديثه وفي نظراته المفعمة بما هو باطني وروحي...

الكتابة هاجس وكفى وهو لا يكف عن تمجيد أفعالها المختلفة في جغرافيا الكون ديدنه الحب الإنساني الخالص قتلا للخراب...

مضينا في رحلة موجوعة بايقاع ما يحدث، بين الكتابة والنقد والذات الإنسانية والحضارة والحرب وفي الحقيقة الحديث يتسع لأمور أخرى ولكن حميمية اللحظات أخذتنا إلى هوامش وجوانب أخرى بعيدا عن المألوف بشأن ما يمكن أن يتعاطى به المأخوذون مع أدب كويلهو...

«شكرا....» قالها بانتهاء اللقاء. تركته وفي قلبه شيء من الشرق والشعر والحب وكثير من المواقف والنصوص التي كثيرا ما تصدّت لما هو اعاقي ودمار تجاه الذات الإنسانية...

باولوكويلهو، كشف مرة أخرى عن أهمية دور المبدع في كون مربك، وإليكم هذا اللقاء الحواري:

■ عرفت مؤلفاتك جمهورا عريضا من القراء في العالم العربي الإسلامي ففي أي سياق تضع ذلك؟

■ **أولا نحن إخوة بصرف النظر عن كل مساعي بعث الفوارق بيننا من قبل المؤسسات والآخرين. إنني أعمل جاهدا لأجل التقارب وهو شأن الكتّاب العرب الكلاسيكيين الذين عرفت كتاباتهم في البرازيل... إننا نتقاسم ذات القيم ونفس الرعب والأسئلة التي قد نختلف على أجوبتها ولكننا نجتمع في أهيمتها وأرى أن هذه الأشياء المشتركة تجعلني على أمل كبير في أننا قادرون من منطلق التاريخ ومنجز الشعراء والموسيقيين والروائيين والفنانين بصفة عامة على ايجاد حوار فقده الساسة وعجزوا عنه من زمان...**

■ اختلف النقاد بشأنك فهناك من يرى ثراء وأهمية ما تكتبه وهناك من يرى العكس فكيف ترى الأمر؟

■ **أكتب لنفسي أولا وفيما بعد أرى أن الجميع أحرار والنقد حر في حبه للنصوص أو تركها، أنا كتبت ليفهمني الآخر بطريقة جيدة... ولا أنتظر شيئا من النقد سواء الذي يمدحني أو ذاك الذي يذمني. هذه ليست أمنياتي وأهدافي، ما أرمي إليه هو أن أكون قادرا على أن أفهم كإنسان وهذا مهم بالنسبة لي في سياق تجربتي في الكتابة.**

■ الكتابة كفعل حضاري في هذا الكون؟

■ **فعلا كما قلت لك نحن لن نقدم أجوبة على أسئلة الكون، فالأجوبة الحقيقية كامنة في كل قلب ولكن على الأقل نستطيع تقاسم الهواجس والقضايا والاسئلة باعتبارنا مشتركين في الإنسانية التي تعيش. والآن فإن رجال الأدب والفنانين بصفة عامة مسؤولون أمام هذه المعاني والمشتركة.**

■ الأمكنة...الكتابة .. وباولو كويلهو؟

■ **أنا هنا بعيون الطفل وليس بتجربتي كإنسان ولكنني أخذت بالأشياء وبالتفاصيل الصغيرة لاننا نشعر أكثر بذواتنا في مثل هذه التفاصيل. زرت في السابق مدنا بالعالم العربي وفي اول مرة حين زرت طنجة المغربية سنة 1982 أحببت هذه العوالم الساحرة التي كانت تسكنني منذ طفولتي لأني كنت متواصلا مع العالم العربي الإسلامي من خلال الادب بما هو سفر، اكتشفت ما هو خيالي وعجيب كان يسكنني قبل الحلول بالمكان ولكن فيما بعد رأيت الواقع في علاقته بما هو متخيل ولمست حقيقة ما كان في علمي وما حدّثت عنه. لديكم ثقافة استثنائية استفاد منها العالم والانسانية كثيرا وأنا ممنون لكم بكل هذا ولعله من اسباب درجة انتشاري وقراءتي من قبل الكثيرين وهذا يحسب لكم في سياق الثقافة والحضارة....**

■ الترجمة والتواصل؟

■ **صحيح هناك مشكلة تواصل أكثر تتمثل في غياب الترجمات وندرتها وهذا حاصل لدينا كبرازيليين وهو أمر صعب على الأدب والثقافة فأنا لم أتخيل يوما أن أترجم إلى اللغة العربية لأن الأمر لم يكن من تقاليدنا. هناك معضلة لدى الأدباء البرازيليين في الترجمة لو استثنينا تلك الترجمات إلى البرتغالية والاسبانية مثلا...**

**هذا أمرصعب رغم أنني ترجمت إلى اكثر من ستين لغة وانتشرت في حوالي 160 بلدا وهذا شأن القارئ الذي اهتم بكتبي وقرأني بل وتطوع لفعل ذلك، و لذلك بلغت كتبي بلدانا عديدة مثل الصين والإمارات العربية المتحدة وتونس...هكذا كان الأمر، فألف ليلة وليلة قد سافرت إلى أنحاء العالم عبر الانبهار بقراءتها ووجود الرغبة الإنسانية المشتركة في عالمها الأدبي الساحر.**

■ الكتابة وسط هذه الفواجع والكوارث؟

■ **العالم كان دائما مأخوذا بالحروب وبالدمار منذ أزمنة قديمة والآن بشكل مختلف ويبدو أن الإنسانية كانت في هذا السياق من الصراع والمواجهة وعلى الفنان أن يبحث عن أبعاد أخرى لإعطاء المعاني النبيلة للحياة. نحن لا نستطيع إيقاف الحروب.**

■ ورسالتك إلى امبراطور الحرب ..... بوش؟

■ **قبل حرب العراق كتبت عديد النصوص التي انتشرت في العام وعارضت غزو العراق والحرب رغم ما حدث من مدّ عالمي ضد الحرب وما شاهدناه من احتجاجات في الشوارع فإن قرار الحرب كان من قبل سياسي رأى ضرورة ذلك وهذا لا يقلل من القوى المعارضة للحرب بل هو دافع للأمل من قبل معارضي الحرب.**

**هناك جانب عريض من الامريكيين عارضوا الحرب ولكن السياسيين عديمي الرؤية المستقبلية هم الذين قرروا الامر وهذا سخيف ولذلك نراهم الآن يتخبطون ولا يعرفون مخرجا ملائما من الورطة.**

**إن أمثالنا من الناس الواعين بالأهمية الثقافية والإنسانية والسياسة بالمعنى الكلاسيكي والإغريقي، كانوا دائماً في خانة مضادة للخراب والحروب.**

**نحن في مفترق صعب يتطلب منا الكثير من الجهد والشجاعة لمعارضة ذلك حتى لا نفقد الامل باعتبارنا من كائنات هذا العالم.**

■ هل هذا دور الكاتب ؟

■ **هو دور الجميع وهذا ما أراه جميلا في حضارتكم فكل الناس أمام هذا الأمر ونستطيع إيجاد نخبة ولكن الأمرمطروح على الجميع ومن ضمنهم الأدباء....**

■ شعراء العالم أطلقوا بيانا من موقعهم من أجل دور آخر جديد وحيوي في هذا العالم؟

■ **هو ككل دور فاعل ينضاف إلى جملة أدوارالقوى الحية عبرالصراع من أجل ترسيخ قيم سامية، وهذا ديدن المبدع في هذا العالم. وكل مانيفستو في النهاية ضرب أسطوري يهدف إلى نحت التواصل مع الآخر...**

■ شاعر قريب من باولو؟

■ **هو برازيلي ويدعى مانويل باندير، أنا أحبه كثيرا.**

■ حضورك بتونس كضيف معرض الكتاب الدولي؟

■ **هي زيارتي الاولى وقد أعجبتني بالإضافة لما وفرته لي من لقاء جمعني بقرائي. المعرض ممتلئ بجمهور الكتاب وأتمنى احترام وتقدير الأدب، أقدر عاليا شراء الكتب المختلفة لقرائتها وهذا ما شاهدته....**

■ رسالتك قبل غزو العراق والمليار قارئ؟

■ **هذه الرسالة كتبتها قبل غزو العراق وقرأها حوالي مليار قارئ. تكمن أهميتها في هذا الدور الذي تقوم به ككتاب وأدباء وشعوب وهي ضد هذه النزعة المعادية للإنسانية التي تضع العالم بأسره في خطر وقد كان هذا موقفي ليس كبرازيلي فحسب بل لفائدة الامريكيين الذين صاروا الآن أكثر فأكثر معارضة للحرب.**

■ كويلهو ... نوبل.... ما الأمر؟

■ **(يضحك) .... هي أعلى من قدراتي، و لأن الأمر يتجاوزني ويخصهم هم (جماعة نوبل).**

■ وأخيرا

■ **يجب أن نتسلح بالشجاعة عند كل صباح...**

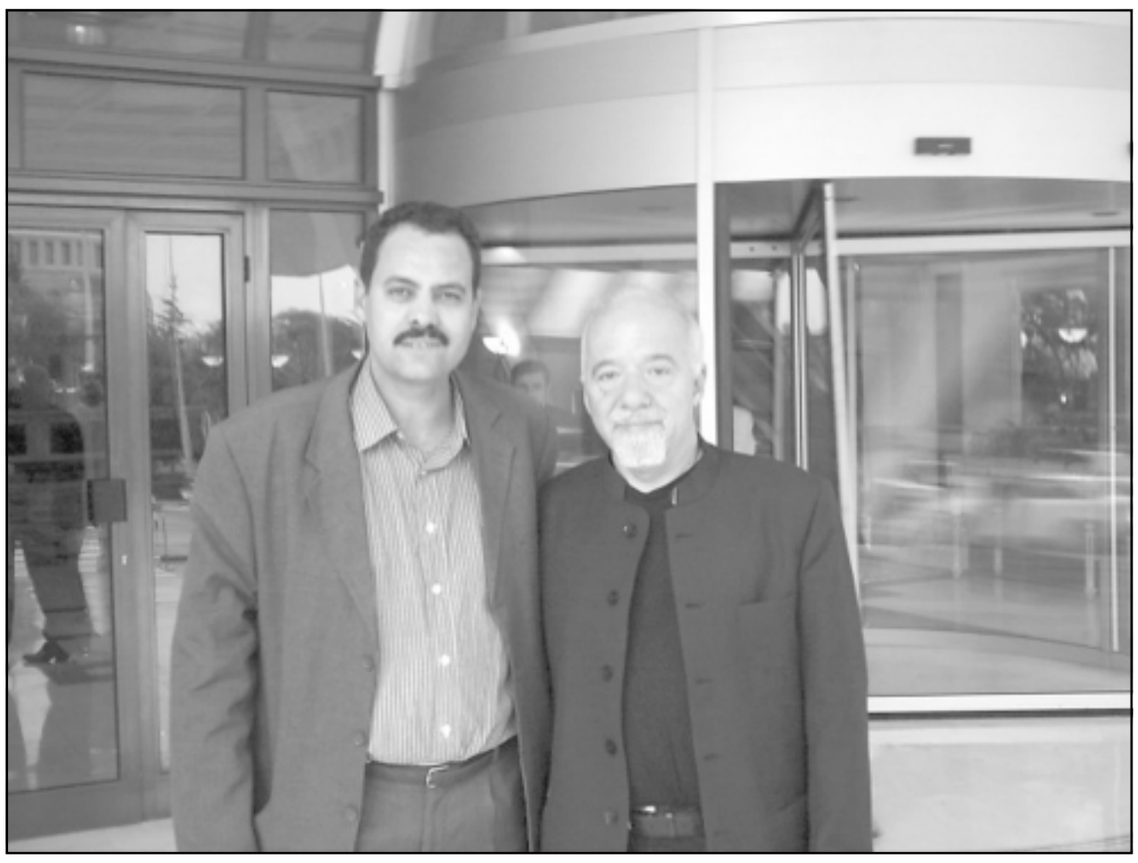

باولو كويلهو مع الزميل شمس الدين العوني (القدس العربي)

### «خلاخيل العابرة» لسماح عبدالله:

# عودة الى قصيدة الارض المرأة والمرأة الارض

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمود قرني:

كنت أظن زمانا كان الشعراء فيه يقفون خلف تراب امرأة أو تراب وطن قد ولى الى غير رجعة ليس ـ لا سمح الله ـ لعيب مشين في المرأة او الوطن لكن لأن هذا الوعي الرومانسي المكتظ بالبراءة قد ولى هو الآخر، وانقشعت سحابة كانت تصور لنا أفاعيل وأحابيل الإثنين ـ المرأة والوطن ـ على انها مسرات نبوية وطهرانية حتى لو كانا من الخائنين، لا بأس سنتحول نحن الى ضحايا وشهداء، وقد فاجأنا الشاعر سماح عبد الله الأنور بديوان حاشد لفلسطين صدر عن مطبوعات اتحاد الكتاب في مصر تحت عنوان «خلاخيل العابرة» ومنذ السطور الأولى لهذا الديوان الذي يرغب في تأنيث أشيائه بشكل لافت، سنجد الشاعر يكتب اهداءة بدلا من اهداء ويقول: الى فلسطين العابرة امام عيوننا بكل هذا الجمال والجلال وإلى محمد الدرة وجيله، الذي يعرف طريقه جيدا ويمشي بكل هذه الثقة الى غده الآتي، الاكثر بهاء.

ولا يكل الشاعر عن استبطان امرأته فلسطين بحيث تعود التمثلات الاولى لأبعاد شعرية الريادة التي زاوجت بين مغردتي المرأة والوطن، وهي مزاوجة تستوجب الكثير من التقلبات والتناقضات ليؤكد لنا الشعر والشاعر معا ان ثمة مكانا أثيرا لكلا الأقنومين.

ورغم التفاوت الذي يبدو في شعرية سماح عبد الله إلا انه، ومنذ دواوينه الاولى، يتمتع بهذا الحس الرومانسي الرائق والموهوب، غير ان الحقيقة تشير الى تآكل الكثير من هذه العذوبة تحت تأثيرات مختلفة، أولها تجاوز الشعرية الراهنة والقرينة لهذا الوعي الفردوسي فبدت شعرية سماح وسط مشهد جيله ـ الثمانين والتسعين ـ أبعد بخطوات لأنها ظلت متمسكة بالظروف التي احاطت بنشأتها، وثاني هذه التأثيرات تكمن في استنامة الشاعر للأصوات التي تربى عليها، دون بحث دؤوب عن أطواق أوسع للوعي بالعالم معرفيا وشعريا، لذلك التيار الرومانسي المترهل لدى صالح جودت وسلالته التي تناسل منها في الشعرية الحديثة شعراء محدودو التأثير مثل فتحي سعيد وفاروق شوشة ومن تناسل منهم ايضا من شعراء السبعينيات امثال عزت الطيري، وصلاح اللقاني ودرويش الاسيوطي وجميل عبد الرحمن.

ومع ذلك تظل شعرية سماح عبد الله ذات بهاء خاص، تؤرقنا بالسؤال الملحاح دائما لماذا لم يكن الشعر في الطريق الذي انشده وينشده الأقران؟ وهو سؤال بالقطع لا محل له لأنه يفترض وصاية على نص تم إنشاؤه بالفعل ويجب التعامل معه على كينونته الكائنة او على حالته وهيئته.

نعود الى الديوان وإلى فلسطين ونتوقف امام القصيدة الأولى في الديوان التي تحمل عنوان ـ جنازة بليلة ـ يقول سماح:

البحر الحافي
يتلصص حول حواف فلسطين،
يغمض عينا
ويفتح عينا
حتى ان نام الجند الساهر
يتسلل
من بين بياراتهم
وكعوب بنادقهم
يجتاز السلك الشائك.

تكاد تكون هذه القصيدة هي الوحيدة التي أقامت حاجزا ناعما بين فلسطين وبين المحاولات الدؤوب لتأنيث شعريتها وتجلياتها المختلفة سواء كان ذلك على المستوى الانساني أو الجغرافي المرتبط داخل النص بعلامات مختلفة للمكان.

سنجد الشاعر في القصيدة الثانية وتحت عنوان ـ الشعر الحافي ـ يستلهم محمود درويش عندما يقول ـ منتصب القامة امشي مرفوع الهامة أمشي، في كفي غصن الزيتون، وعلى كفي نعشي ـ، أما سماح عبد الله الأنور فيقول:

امشي
أمشي حتى نعشي
نعشي يمشي
قافية تبحث عن شعر
كي تترقص في مشيتها
أم شعر

وسوف نلاحظ ان التماهي لا يقتصر فقط على تمثل معنى الموت وما تيسر فيه من بطولة وتمجيد لمعنى الاستشهاد وقيمته التاريخية بل سوف ينسحب التماهي كذلك على استخدام بحر المتدارك لدى سماح كما فعل سلفه محمود درويش وهو امر جعل فكرة التطابق لا تدور فقط حول التأثير والتأثر وربما بدت وكأنها أبعد من ذلك.

ايضا يعود سماح في القصيدة ـ التالية ليستخدم الشطر الذي استخدمه سلفه درويش ـ ليت الفتي حجر ـ وهو عنوان للقصيدة، وهنا يجدر القول ان سماح ودرويش اخذا شطرهما عن البيت الشهير ـ ليت الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم ـ ويختتم سماح قصيدته بالقول:

شوق الفتى
يشتاق ينفجر
ينصب من عليائه كسرا
ويبتاع المواويل الحزينة
من رجال الصبر بالدينار
عذاب السمك العريان
فبأي آلاء الهوى
يأتي جميلا مثلما لا ينبغي للناحل
الصديان
ولأي شيء
عندما يأتي المسا
يورق في أضلاعه الزهر؟
ليت الفتى حجر.

أما في قصيدته «حيرة الوالهين» فيعود سماح الى سيرته الاولى وتستحيل فلسطين الى امرأة مزنرة، ونيزكية ذات أريج لتستعيد الشاعر ألقا غائبا خلف الغنائية المفرطة التي تبدو عليها قصائد الديوان، يقول سماح:

على حين غرة
تمر فلسطين فوق الممر
مزنرة بالبنفسج
والتمر حنة
والياسمين
يقول الفتى للفتى:
أو هذي هي النيزكية
ذات الأريج؟.

ومع استمساك الشاعر سماح عبد الله بالوزن الخليلي في قصائده يحق لنا أن نتأمل سويا هذا الخلط الشائه وغير المفهوم بين النثر والشعر في السطر الشعري الواحد دون ان يكون هناك ثمة مبررات لذلك، بحيث تبدو الانتقالات العروضية النثرية ممثلة لنشوز واضح تنفر منه الاذن، ولو كان الشاعر قد اقتصر على الاستخدام العروضي منفردا أو النثري منفردا لما وقع في هذا الخلط ولا أظن الشاعر كان يقصد الى المزج الذي يمكنه اثراء النص، ولنقرأ ما يقول:

ياصاحب البندقية
قف
وخذ قدحا
من الحليب
وخذ تمرا
وفاكهة.

وسنجد أن السطر الاول يقع بين الرجز والمتدارك والسطر الثاني من الرمل والثالث يعود فيه الى الرجز وهي تفاعيل لا تشكل في نهاية الامر دائرة عروضية متكاملة تزيل هذا الالتباس الشعري النثري.

يتأكد هذا المعنى ولكن بشكل سافر يمثل كسورا عروضية لا تليق بشاعر يتمسك بأداته الراسخة في قصيدة ـ الأقوال الاخيرة لمحمد الدرة ـ حيث يبدأ الشاعر قصيدته بغنائية واقعة وسرعان ما يقع في الكسور العروضية حيث يبدأ بالقول:

أنثر عبيرك
في هوائي الباقي
ياوطن الشهداء
والعشاق
واعبر أمامي مرة واحدة
لأراك

حيث تتواتر في السطر الاول والثاني ـ مستفعلن، متفاعلن، فاعل بزيادة سبب خفيف، لكن التفعيلة تنقلب رأسا على عقب في السطر الثالث وما يليه الى المتدارك غير المنتظم، وغير السليم.

يتبقى سؤال الشعر دائما وأبدا اكبر من هذه القراءات المتعجلة التي قد تظلم أو تنصف سماح عبد الله وغيره من الأقران والأنداد، ولأن أشياء غير محصورة تتغير حولنا، سيكون من العار على الشاعر، أي شاعر، ان يستمرىء غيبوبته ويستدفىء بعزلة موهومة مبتورة الصلة بالاشياء الجذرية لذلك صرت انظر بدهشة وغرابة لفلسطين سماح عبد الله الأنور التي تبدو مزنرة بالورد والياسمين، بينما هي في الحقيقة ممرغة في الوحل وتحتاج منا الى بذل الدم قبل بذل الشعر، تحتاج منا الى وعي اكثر حدة ينظر رأسيا الى الجرم وإلى الوجع ولا يكتفي بالتماسه براحة ناعمة.

# خمس قصائد

محمود عبد الغني *

## 1 ـ فرانسيس بونج يضرب على الطاولة

بعدما أثار المسائل
التي لا حل لها،
ضرب على الطاولة.
كان يتحدث عن الموسيقى،
عن الشعراء الذين فقد دينهم
من قيمتهم،
عن القلم،
هذا العضو الإضافي في اليد.
عن الاندفاعات الإيروسية.
عندما يتدفق كل شيء،
دفعة واحدة،
يبدو كل شيء حسنا.
يشتد حس المطاردة.
مطاردة الكلمات
وكل ما قرأه البارحة.
ضربات.ضربات.ضربات.
كلمات .كلمات.كلمات.
و لم يذكر فرنسا بعد.
الكلام هو الدم الحقيقي للإنسان.
...

## 2 ـ الوتر المشدود يرتعش

مازال الوتر المشدود
يرتعش.
يجب أخذ كل بلاغة في الاعتبار،
مثلما يأخذ الشعراء
كل كلمة في الاعتبار.
الكلمة تحيط بالشيء،
لتعرفه
وتطالب به.
الشيء يهرب
حتى تصدر عن الكلمة
رقة أو طرافة.
لكن الكلمة
تنفي الشيء،
والشيء ينفي الكلمة.
ونحن لا نعرف
إلى أين تمضي هذه اللعبة.

## 3 ـ طريق بيضاء كالقطن هنا،

في أرض الصباح،
كان يلتقي روميو بجولييت.
أزرارهما مازالت تلمع على الأرض.
ستأخذها الريح في الليل
بعيدا.
هنا أيضا،
بقيت قطع غيار أخرى ،
تلحس بلسانها كل شيء على القارعة.
لم يغن روميو وجولييت أمام جمهور كبير.
وهذا هو منجمهما العميق.
نجمهما الصامت يرقب كل الطريق
البيضاء كالقطن،
حتى لا يقال إن روميو وجولييت بلا طريق.
( هل ثمة عداوة بين المشي العذب و الطريق ؟)
كان الله يدعهما ينبذان
الصلة بين اليمين واليسار .
يدان بهذه العظمة والخلود
كانتا بالأمس تلمسان الشجرة .
في الليل نهضت الريح
وطردت الحشرات إلى الخارج.
هذه المرة قد يكون الخير مؤذيا.
تعالوا نرقب الريح
وهي تنقل الأزرار والحشرات من مكان إلى مكان.
تعالوا ،
سيصبح هذا العمل ذكرى قديمة.
مائة يوم فيما بعد،
ستسمعون شكوى فوق الاحتمال.
سيسقط الكلام
كما لو أنه من سماء بعيدة.
لا ندري ما هو،
لكنه كلام يلوح تلويحة ضارية،
من نافذة يسمونها قرية القلب.
هذه أشياء تعلمتها حين كنت شاعرا.
وها إني اليوم
أراها سهرانة في كل النجوم.
في كل الأراضي الهاوية
التي تمازح الجميع في كل وقت.
هذا ما يحدث للناس
حين يستخفون بالنصيحة.
والنصيحة، عكس ذلك،
تواصل هبوطها مع المطر ،
و نموها مع الأشجار.

## 4 ـ ما قالته حياتي بلا صوت

عندما اشتاقت إلى الخطيئة،
ارتمت حياتي من الشجرة.
كانت تنظر إليها الأسماك
من مائها.
رفاقها الطيور
وشوا بها.
طارت إليهم بدون ريش،
و حضنتهم بدون أجنحة.
ما قالته الطيور مغردة،
قالته حياتي بلا صوت.
إليك أيتها السنوات
أرسل شهبا نارية،
لأريك كيف نزين قلبا
و ننظفه
رغم أنني أرثيه كثيرا.
ما أصابه هو ما يصيب كل القلوب
التي مشت في أزفة هذه القرية الحزينة.
هو أشهر قلب
ابتدع نبضاته
ونسيها.
فبقي يرى من بعيد
كأنه خيط يتحرك
على إيقاع المستقبل البطيء.
خيط
لا أحد يبتاعه
رغم حاجته إليه.
لا يأتيه إلا صغار الطير
و صغار الأطفال في القرية الحزينة.

لا أحد
أقر بوجوده
غيري،
فأنا الوحيد
الذي رآه
يتحرك
كأنه مربوط
إلى شجرة
مجهولة
و مكللة
بالغيوم.
هذا الخيط
عبر كل المدن
و تدفق مع الأنهار.
حتى لا يقال إنه أعمى
يقول من أنت
للنور الذي يدخل
من نافذة الصباح.

## 5 ـ أرض الكراكيب

انتظرت وحلك،
آخذه وأعيده إليك.
في كل وحل وحل آخر.
، أعرف أنني لن أصل إلى حادث سيء
في هذه المدينة الواثقة.
و مثل كل الناس
سأستبدل شيئا بشيء.
أزيل الشحم والقمامة من زوايا بيتي،
أنتظر وحلك في زاوية من المكتبة.
الزاوية المخصصة لحزني
حين يغادرني
واعدا بالرجوع.
كلما كانت الزاوية
سيئة الإضاءة
كلما كان الصيد وافرا.
هذه هي حيرة الزمان
حبيبتي.
أحس أني كنت أمتلك
كلمات
وضاعت في الطريق،
هدمها من جاؤوا بعدنا.
كسروا حروفها و أنغامها
كما تهدم الجيوش المدن
الكبيرة.
وحين تدور الساعات دورتها
تنهض كلماتي الطروادية،
تجلس على بابك
و إلى جانبها التراب و أوهام الأشجار المزهرة.
و تنام بلا مخدة.

* شاعر من المغرب